تأثير البعد الديني في العلاقات الهندية الإسرائيلية (٢٠١٤-٢٠٢٤)

The religious dimension in Indian-Israeli relations

عثمان أحمد حمادة عثمان
المعيد بقسم العلوم السياسية
كلية التجارة وإدارة الأعمال-جامعة حلوان

إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد عبد العظيم الشيمي
أستاذ العلوم السياسية
كلية التجارة وإدارة الأعمال-جامعة حلوان

الدكتورة
هويدا شوقي أبو العلا
مدرس العلوم السياسية
كلية التجارة وإدارة الأعمال-جامعة حلوان

ملخص:-

تأتي هذه الدراسة ضمن الاتجاه المتزايد والمتجدد المعني بالأبعاد الحضارية والثقافية والقيمية في حقل العلاقات الدولية، وهدفت لتقديم إسهام جديد في هذا المضمار بالتطبيق على العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ حيث سعت الدراسة إلى استجلاء تأثير البعد الديني في العلاقات الهندية الإسرائيلية، إذ كان للهوية الدينية دور كبير في تأسيس الدولتين، وبخاصة في ظل ما تشهده الدولتان من تصاعد للتيارات الدينية وما يقترن بذلك من تنامي السياسات العدائية للآخر الإسلامي في سياسة كل منهما، وحللت الدراسة هذا التأثير بالاعتماد على مقولات النظرية البنائية.

وتوصلت الدراسة إلى أن البعد الديني المتمثل في التقارب بين الهندوتفا والصهيونية، كان له تأثير إيجابي في تعزيز التعاون بين الهند وإسرائيل، حيث كان له تأثير كبير في سلوك وتوجهات الفواعل الرسمية وغير الرسمية في كلتا الدولتين، وترسخ هذا التأثير بصعود القومية الهندوسية بقيادة حزب بهاراتيا جاناتا في السياسة الهندية، ويظهر ذلك من خلال تأثيرين أساسيين، أولهما بوصفه إطاراً مفسراً للتهديدات، حيث تعمل الهوية الدينية لكلا البلدين على تبني خطاب مشترك ضد الآخر

الإسلامي بكونه يمثل تهديداً حضارياً لوجود الدولتين، ومن ثم يعزز هذا الخطاب لدى الدولتين فكرة أنهما ضحية للعدو الإسلامي غير الحضاري، والتأثير الثاني للبعد الديني هو أداة لتعزيز التعاون بين البلدين وهو بذلك نتيجة للتأثير الأول؛ إذ تعمل الدولتان على توطيد التعاون بينهما كضرورة لحماية قيمهما ومصالحهما المشتركة، حيث يستخدم القادة السياسيون في كلتا الدولتين خطاباً دينياً لتبرير التعاون بينهما.

الكلمات المفتاحية: البعد الديني، الهوية الدينية، العلاقات الهندية الإسرائيلية، الصهيونية، الهندوتفا، النظرية البنائية.

Abstract:

This study comes within the growing and renewed trend concerned with the civilizational, cultural and value dimensions in the field of international relations, and aimed to provide a new contribution in this field by applying to Indian-Israeli relations. The study sought to clarify the impact of the religious dimension in Indian-Israeli relations, as religious identity had a major role in the establishment of the two countries, especially in light of the rise of religious currents and the accompanying growth of hostile policies to the Islamic other in the policy of each of them, and the study analyzed this impact by relying on the arguments of the constructivist theory.

The study found that the religious dimension represented by the convergence between Hindutva and Zionism had a positive impact in promoting cooperation between India and Israel, as it had a great influence on the behavior and orientations of official and unofficial actors in both countries, and this

influence was consolidated by the rise of Hindu nationalism led by the Bharatiya Janata Party in Indian politics, and this appears through two main effects, First, as a framework for interpreting threats, where the religious identities of both nations contribute to the construction of a shared discourse portraying the Islamic "Other" as a civilizational threat to their existence. This discourse reinforces the perception within both states that they are victims of an uncivilized Islamic adversary. Second, the religious dimension functions as a tool for enhancing bilateral cooperation, which can be seen as a consequence of the first effect. In this context, both states seek to deepen their collaboration as a necessity to safeguard their shared values and interests. Political leaders in both countries employ religious rhetoric to justify and legitimize such cooperation.

Keywords: Religious Dimension, Religious Identity, Indo-Israeli Relations, Zionism, Hindutva, Constructivism.

مقدمة:

لا ينفك علم العلاقات الدولية عن بقية العلوم الاجتماعية في تأثره بالظاهرة الدينية، إذ لم يأت على الدين حين من الدهر لم يكن فيه مؤثراً في العلاقات بين الأمم والشعوب، حيث يُعد الدين مكوناً أصيلاً من مكونات الهوية، حيث إنه أحد الركائز الأساسية في نشأة وتقدم واستمرار الحضارات الإنسانية؛ بيد أن الاهتمام بالأبعاد الدينية في دراسات العلاقات الدولية بمنظورها الغربي، شهد انحساراً كبيراً في إطار ما سميَّ بالمرحلة السلوكية.

وما إن وضعت الحرب الباردة أوزارها حتى تعاظم الاهتمام بالبعد الديني في العلاقات الدولية؛ وَرُدَّ الاعتبار للعوامل القيمية والدينية والثقافية مرة أخرى. وهذا

الاهتمام المتزايد؛ جاء استجابة للتطور الذي شهدته الظاهرة الدولية، وكأحد منتجات المراجعات المعرفية التي شهدتها نظريات العلاقات الدولية في رحاب ما سميَّ بمرحلة ما بعد السلوكية، ومثلت أيضاً أحداث الحادي عشر من سبتمبر دفعة قوية في هذا المضمار؛ وانعكس ذلك كله على السلوكيات الخارجية للدول وعلى العلاقات فيما بينها؛ حيث سعت العديد من الدول إلى توظيف العامل الديني في علاقاتها الخارجية، واحتلت الهويات الدينية مكانة كبيرة في التأثير على سلوك الفواعل الدولية وتوجهاتها، ومن جراء ذلك أضحى الدين من أكثر العوامل تأثيراً في العلاقات الدولية.

ولم تكن الهند وإسرائيل بمفازة من ذلك؛ حيث كان للهوية الدينية دور كبير في بروز الدولتين على الساحة الدولية؛ فتم تقسيم الهند نتيجة انفصال باكستان كممثلة لمسلمي الهند في أغسطس ١٩٤٧، وقامت إسرائيل على الهوية اليهودية الصهيونية في مايو ١٩٤٨؛ فمنذ تأسيس الدولتين شكل الجدل حول هوية الدولة قضية أساسية في سياسة كل منهما، إذ سعت القيادات العلمانية في بداية تأسيس الدولتين إلى محاولة التوفيق بين الأطر العلمانية للدولتين والهوية القومية الدينية.

وتتشابه الدولتان في العديد من الجوانب؛ أبرزها ادعاؤهما أنهما دولتان ديمقراطيتان؛ فالهند ترى أنها أكبر ديمقراطية في العالم، وعلى غرارها ترى إسرائيل نفسها الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وكلاهما يؤكدان على انتمائهما إلى حضارتين دينيتين قديمتين وهما الحضارة الهندوسية والحضارة اليهودية. كما خاضت البلدان في بداية نشأتها صراعات مع الآخر الإسلامي، ففي الهند خاضت صراعات مع باكستان والجماعات الإسلامية، وكان للعامل الديني فيها دور بارز، ولم يختلف الأمر كثيراً في إسرائيل حيث خاضت حروب طويلة دارت رحاها مع الدول العربية والحركات الإسلامية.

ومنذ اعتراف الهند بإسرائيل في سبتمبر عام ١٩٥٠، كانت العلاقات بين البلدين تتسم بالمحدودية؛ حيث كانت الهند بقيادة نهرو تتجنب إقامة العلاقات مع إسرائيل، وظل قرار إقامة علاقات دبلوماسية هندية مع إسرائيل معطلاً حتى عام ١٩٩٢؛ إلى أن خرجت العلاقات بين الدولتين من حالة الجمود، إلى مرحلة التطبيع

الكامل وشبه العلنية في العلاقات بين البلدين والتي انطلقت شرارتها في عام ١٩٩٢؛ وأعقب ذلك زيارات متبادلة بين البلدين أسفرت عن تعميق العلاقات بينهما.

وشهدت العلاقة بين البلدين تحولاً كبيراً؛ لا سيما بعد انتقال السلطة في الهند من حزب المؤتمر إلى حزب بهاراتيا جاناتا في مايو ٢٠١٤، وشكل هذا التحول سبيلاً لنقل العلاقات بين البلدين إلى مستويات أكثر تقدماً، وإيجاد تناغماً أكبر بين النخبة السياسية والحزبية الحاكمة في البلدين، في إطار التشابه السياسي والفكري بين الحزبين الحاكمين في إسرائيل والهند (الليكود في إسرائيل، وبهاراتيا جاناتا في الهند)، فرغم الاختلاف الديني بينهما إلا أنهما ينضويان تحت مظلة اليمين الديني، ويرتبط كل منهما بتيارات دينية داخل المجتمعين الهندي والإسرائيلي، ويتبنيان أفكاراً دينية وقومية متشددة، وكلاهما يعادي الأقلية الإسلامية في بلديهما.

وقد أثار التطور السريع في العلاقات بين البلدين، العديد من التساؤلات؛ لعل أبرزها كيف ولماذا تحولت هذه العلاقات من شبه العداء إلى الصداقة الحميمة؟ ولماذا توطدت العلاقات الاستراتيجية بينها لاسيما التعاون العسكري والأمني بين البلدين؟ مما دفع بالكثير من الباحثين للاهتمام بأسباب تطور العلاقات بين البلدين لا سيما في ظل التحولات الإقليمية الجديدة التي تشهدها المنطقة؛ لذا تحاول هذه الدراسة توضيح مدى تأثير البعد الديني في تطور العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ وبخاصة مع صعود تيارات اليمين الديني المتشدد في كلتا الدولتين.

الدراسات السابقة:

تتنوع الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة بحيث يمكن تقسيمها إلى محورين: فالمحور الأول يتناول تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية، ويتناول المحور الثاني العلاقات الهندية الإسرائيلية، وتطورها التاريخي، والعوامل المؤثرة فيها، وأهم قضاياها، ودوافعها.

المحور الأول: دراسات تناولت البعد الديني في العلاقات الدولية

تعددت الدراسات التي تناولت البعد الديني في العلاقات الدولية، تنظيراً وتطبيقاً؛ والتي جاءت ردة فعل على التغيرات التي أصابت علم العلاقات الدولية،

سواء أكانت في الفواعل أو المناهج، أو مستويات التحليل؛ ومن أبرز الدراسات التي اهتمت بالبعد الديني على المستوى التنظيري، دراسة **(غانم، ٢٠٠٥)**، حيث اهتمت الدراسة باستعراض الاتجاهات التي عنيت بالتجديد في العلاقات الدولية وبخاصة البعد الثقافي وفي القلب منه البعد الديني، والبحث في الوضع الذي أضحت عليه هذه الأبعاد، وخلصت الدراسة إلى أن الاهتمام بالأبعاد الثقافية والدينية والحضارية، أصبحت ضرورة يمليها واقع العلاقات الدولية. وجاءت دراسة**(Snyder,2011)** لتؤكد على أن الدين متغير مهم من متغيرات العلاقات الدولية، إذ أثبتت الدراسة أن الدين ظاهرة معقدة ومتشابكة ويضطلع بتأثيرات متعددة ومتباينة ومتداخلة في العلاقات الدولية؛ مما يوجب تعدد مداخل دراسة تلك التأثيرات، فيمكن دراسته من حيث كونه مصدراً ومشكلاً للشرعية الداخلية والخارجية للدول والفواعل الدولية، وأداة لتبرير سياستها، ومشكلاً لهوية وعقيدة صناع القرار، ومحركاً للمؤسسات الدينية والحركات الدولية العابرة للحدود. وأتت دراسة **(مصطفى، ٢٠١٣)** في صميم مراجعة علم العلاقات الدولية، والاهتمام بالبعد الديني في العلاقات الدولية من منظور إسلامي بنائي؛ إذ أكدت على ضرورة إدراج الفكر السياسي الإسلامي في نظرية العلاقات الدولية لإصلاح الخلل الذي أصاب النظريات التقليدية في تحليل العلاقات الدولية. وجاءت دراسة **(Sandal & Fox, 2013)**، لتستعرض إدماج البعد الديني في نظريات العلاقات الدولية الغربية، وكيف يمكن لهذه النظريات أن تستوعب البعد الديني في العلاقات الدولية، وتوصل الباحثان إلى أن النظرية البنائية هي أكثر نظريات العلاقات الدولية ملائمة لتحليل البعد الديني في العلاقات الدولية.

وفي إطار الدراسات التطبيقية التي تناولت البعد الديني، أتت دراسة **(صقر، ١٩٨٩)** لتؤكد على أن الدين أدى دوراً مهماً في سياسات الدول القومية، كاشفاً الفجوة الكبيرة بين التنظير الغربي والواقع الفعلي لسياسات الدول الغربية مفككاً الفرضية التي تبنتها النظريات التقليدية في العلاقات الدولية، والتي ادعت عدم وجود تأثير للدين في سياسات الدول القومية، ثم جاءت دراسة **(أبو العلا، ٢٠٠٧)** لتعضد ذلك التأثير بالتطبيق على السياسة الخارجية التركية والسعودية، مشددة على أن البعد الديني لا يمكن استبعاده من

السياسة الخارجية في أي بلد إسلامي وبخاصة تركيا والسعودية، وفي السياق ذاته أكدت دراسة **(بودلال، ٢٠١٧)** على مركزية البعد الديني في الشرق الأوسط، وبخاصة في العلاقات العربية الإيرانية، وأنه محدد رئيس للعلاقات العربية الإيرانية.

واستكمالاً لهذا المضمار استهدفت دراسة **(بن جامع، ٢٠١٩)** بيان تأثير البعد الديني في توجيه السياسة الخارجية الإسرائيلية، عبر التوسل بمقولات النظرية البنائية، وأثبتت أن البعد الديني له قدرة تفسيرية كبيرة في تحليل السياسة الإسرائيلية؛ حيث اعتمدت الحركة الصهيونية على أسس دينية لتدشين دولة إسرائيل كفكرة الوعد الإلهي، والأرض المقدسة، وشعب الله المختار، وأكدت على أن البعد الديني له تأثير كبير في توجيه السياسة الإسرائيلية من خلال تأثيره المتصاعد في الفواعل الرسمية وغير الرسمية في السياسة الإسرائيلية. وتبين دراسة **(سعيد، ٢٠١٥)**، دور الدين في تطور العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في ظل إدارة "جورج بوش الابن"، وانعكاسات ذلك على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل. وخلصت الدراسة إلى أن الدين له تأثير كبير على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية؛ وأن الدين هو المدخل الأساسي الذي ارتكزت عليه إسرائيل في سياستها الداخلية والخارجية.

كما أكدت دراسة **(عبد الشافي، ٢٠٠٩)**، على أهمية الأفكار الدينية للقيادات السياسية في توجيه السياسة الخارجية، إذ كان لهذه الأفكار دور بارز في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السعودية في فترة إدارة بوش الأبن ٢٠٠١-٢٠٠٨. كما جاءت **دراسة (Astha,2023)** لتحلل كيف أثر الدين باعتباره خطابا تاريخياً تحمله الذاكرة السياسية في العلاقات بين الهند وباكستان وبنجلاديش، وكيف أثرت الهويات الدينية في توجيه السياسات الخارجية للدول الثلاث، وانتهت الدراسة إلى أن الدين أدى دوراً رئيساً في التأثير على العلاقات بين الدول الثلاث.

المحور الثاني: دراسات تناولت العلاقات الهندية الإسرائيلية

تعددت الدراسات التي تناولت العلاقات بين الهند وإسرائيل؛ ويأتي في مقدمتها **دراسة (Gerber, 2008)**، حيث ركزت على تحليل العلاقات الإسرائيلية

الهندية في الفترة من ١٩٤٨إلى ٢٠٠٥، وركز الباحث في تحليله على المحددات الداخلية والخارجية للعلاقات الهندية الإسرائيلية، مستهدفاً معرفة تأثير الدبلوماسية في العلاقات بين الدولتين؛ وانتهى الباحث إلى أن الدبلوماسية كأداة من أدوات السياسة الخارجية كان لها دور كبير في تعزيز العلاقات الهندية الإسرائيلية. وبحثت **دراسة (الزغبي، ٢٠٠٩)** العلاقات الهندية الإسرائيلية من الفترة ١٩٩٠إلى ٢٠٠٧، وتناولت أسسها وجذورها، والعوامل المؤثرة فيها، ومستقبلها، وآثار هذه العلاقة على الدول العربية. وانتهت الدراسة إلى أن المتغيرات الإقليمية والدولية في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات أدت إلى إعلان العلاقات بين البلدين وتطبيعها بشكل رسمي، وأن العلاقات بين الهند وإسرائيل في تزايد مستمر؛ لوجود مصالح مشتركة بين البلدين لا سيما في المجالين الاقتصادي والأمني. وأتت دراسة **(Kumaraswamy,2010)**، لتتناول سياسة الهند تجاه إسرائيل، وخلصت الدراسة إلى أن الهوية الدينية أثرت تأثيراً سلبياً في السياسة الهندية تجاه إسرائيل في مرحلة ما قبل تطبيع العلاقات بين البلدين، حيث نظر قادة حزب المؤتمر إلى إسرائيل من منظور إسلامي، مما نتج عنه تقارب الهند مع المسلمين والعرب، وابتعادها عن إسرائيل.

وجاءت **دراسة(Blarel, 2014)** لتتناول السياسة الهندية تجاه إسرائيل، ورغم تعرضها لدور الدين في ثنايا تحليلها للعلاقات بين البلدين، وتطوراتها التاريخية؛ إلا أنها لم تعطه دوراً مركزيا في العلاقة بين البلدين. وابتغت **دراسة (محروس، ٢٠١٨)** تحليل أسباب تطور العلاقات الهندية الإسرائيلية من ١٩٩٢ وحتى ٢٠١٨؛ فتناولت الجذور التاريخية لها، والأهداف ودوافع تطور العلاقات بين البلدين، وانتهت الدراسة إلى أن المتغيرات الدولية في بداية التسعينيات وخاصة سقوط الاتحاد السوفيتي، والمتغيرات الإقليمية لا سيما حرب الخليج الثانية، وتغير الحزب الحاكم في الهند وصعود الأحزاب اليمينية؛ كل ذلك ساعد بشكل كبير في تقوية العلاقات بين البلدين، وأن إسرائيل استغلت المنافسة الهندية الصينية على الزعامة الآسيوية، والصراع الهندي الباكستاني على كشمير؛ كقنوات تستطيع من خلالها التسلل للهند وتأكيد حضورها العسكري والأمني في منطقة

جنوب آسيا، وتوجيه مجالات التعاون بينها وبين الهند على النحو الذي يخدم مخططاتها لبناء "إسرائيل الكبرى.

وهدفت **دراسة (Bender, 2016)**، إلى تحليل دور الهوية الدينية في العلاقات بين الهند وإسرائيل من عام ١٩٤٧ إلى عام ٢٠١٥، وإعادة التأكيد على أهمية العوامل الدينية في العلاقات الدولية، والتعرف على الطبيعية الدينية والقومية والثقافية للبلدين وتأثيرها في العلاقات بينهما. وانتهت الدراسة إلى أن الهوية الدينية المتمثلة في الهوية الهندوسية في الهند، والهوية اليهودية في إسرائيل لها دور كبير في تعزيز العلاقات الهندية الإسرائيلية لا سيما في ظل تصاعد التيارات الدينية القومية في كلتا البلدين. وتراكم دراستنا على هذه الدارسة في محاولة بيان تأثير البعد الديني في فترة لم تتناولها هذه الدراسة؛ وهي فترة ما بعد ٢٠١٥، وهي فترة شهدت تغيرات كبيرة في العلاقات بين البلدين؛ حيث شهدت تراجعاً كبيراً لحزب المؤتمر لصالح الأحزاب القومية الهندوسية وعلى رأسها حزب بهاراتيا جاناتا، كما شهدت التيارات اليمينية الإسرائيلية صعوداً متنامياً أيضاً، وكل ذلك كان له تأثير كبير على العلاقات بين البلدين، وتسعى الدراسة لتجليته.

واستهدفت **دراسة (Roy, 2022)** الإجابة عن تساءل رئيس وهو لماذا تحولت العلاقة بين الهند وإسرائيل من عدم الاعتراف إلى الشراكة الاستراتيجية؟ وانتهت الدراسة إلى أن التعاون الأمني والاقتصادي بين البلدين الذي يقوم على تحقيق المصلحة القومية ببعدها المادي هو السبب الرئيس في ذلك. وتناولت دراسة **(Iqbal, 2023)**، القضايا والتحديات التي تواجهها العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ وانتهت الدراسة إلى أن العلاقات الهندية الإسرائيلية تواجه تحديات كثيرة لعل أبرزها القضية الفلسطينية، والعلاقات الهندية مع الدول العربية وإيران، وعلاقة إسرائيل المتنامية مع الصين والولايات المتحدة الأمريكية. واستعرضت دراسة **(Kumar, 2023)**، العلاقات الهندية مع إسرائيل من منظور النظرية الواقعية، وتوصلت الدراسة إلى أن تفكك الاتحاد السوفيتي والمشكلة الاقتصادية التي عانت منها الهند في بداية تسعينيات القرن

العشرين، والتكنولوجيا الإسرائيلية المتطورة هي أهم العوامل التي ساعدت على توطيد العلاقات بين الدولتين.

وركزت **دراسة (Urmila, 2023)**، على ما أسمته الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإسرائيل، التي ترسخت بوصول رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي إلى سدة الحكم في الهند، وأرجعت الدراسة التطور الهائل في العلاقات بين البلدين إلى المصالح الوطنية المشتركة المتمثلة في التعاون الاقتصادي والعسكري والتكنولوجي بين البلدين. وأخيراً قامت **دراسة (Sathian,2024)**، بتحليل العلاقات الهندية الإسرائيلية في الفترة من ١٩٩٢إلى٢٠٢٢، بالاعتماد على مقولات النظرية الواقعية، ونظرية الأمننة، وانتهى الباحث إلى أن هناك عدة عوامل أدت إلى تعزيز العلاقات بين الهند وإسرائيل، ويأتي في مقدمتها التحديات الأمنية والاقتصادية التي تعرضت لها الهند في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الاستعراض الموجز للدراسات السابقة سالفة الذكر يمكن استخلاص التالي:

١. أكدت كل الدراسات المتعلقة بالبعد الديني في العلاقات الدولية، على أن البعد الديني له تأثير كبير في العلاقات الدولية، وأن هذا التأثير له مؤشرات كثيرة ارتبط معظمها بالفترة التي تلت الحرب الباردة وبأحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ وهذا يعكس مدى أهمية دراسة البعد الديني في العلاقات بين الدول. كما تبين أيضاً أن هناك ندرة في الدراسات المهتمة بتأثير الهوية الدينية في العلاقة بين دولتين، فغالب الدراسات تركز على دور الدين وتأثيره في السياسة الخارجية للدول أو للفواعل من غير الدول كالمنظمات الدولية والحركات المسلحة.
٢. فيما يتعلق بالدراسات المرتبطة بالعلاقات الهندية الإسرائيلية أكدت كل الدراسات على أن هناك تنامياً كبيراً وتطوراً مستمراً في العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ وأن هذا راجع في أكثره للتعاون الاقتصادي والعسكري الكبير بين البلدين، وأشارت بعضها إلى دور العوامل الدينية والثقافية في تطور العلاقات بين البلدين، وأبرز تمثلات هذه العوامل يكمن في تأثير القومية الهندوسية في الهند على العلاقات بين

البلدين وتغير الحزب الحاكم في الهند وتصاعد نفوذ القومية الهندوسية، وصعود التيارات اليمينية في إسرائيل، والعداء المشترك بين البلدين لما يسميانه بالجماعات الإسلامية المتشددة.

٣. غالب الدراسات المتعلقة بالعلاقات الإسرائيلية الهندية ركزت على الأبعاد الاقتصادية والعسكرية والسياسية للعلاقة بين البلدين مع تطرقها الضئيل المتفرق للبعد الديني والثقافي في العلاقة بين البلدين؛ وغلب على جل هذه الدراسات تحليل العلاقات بين البلدين من منظور واقعي، يركز على العوامل الاقتصادية والعسكرية المادية؛ لذا تأتي هذه الدراسة في إطار تحليل شامل للعلاقات الهندية الإسرائيلية مركزة على العامل الديني وتأثيره في التطور المستمر للعلاقات الهندية الإسرائيلية من منظور بنائي.

إشكالية الدراسة:

يشهد حقل العلاقات الدولية اهتماماً متزايداً بالأبعاد القيمية والثقافية والحضارية، وعلى الرغم من ذلك؛ لا تزال الدراسات المعنية بتحليل تأثير الدين في العلاقات بين دولتين لا تزال قليلة، لذا تكمن إشكالية الدراسة في معرفة مدى التأثير الذي يقوم به البعد الديني كمحدد للعلاقات الدولية؛ فبداية من العقد الأخير من القرن العشرين شهد تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية تعاظماً كبيراً، ومن أبرز مؤشرات هذا الصعود تنامي تأثير التيارات الدينية في دول عدة كالولايات المتحدة الأمريكية، وإيران وميانمار والهند وإسرائيل، وكان لهذا الصعود دور في صياغة وتشكيل توجهات وسياسات هذه الدول.

وانطلاقاً من أن العلاقات الهندية الإسرائيلية شهدت وما زالت، تحولات كثيرة منذ بداية تسعينيات القرن العشرين، وهو ما يثير التساؤلات حول العوامل والاعتبارات التي تقف وراء هذا التحول؛ وفي ظل الصعود المتنامي للتيارات الدينية القومية في كل من إسرائيل والهند، والتقارب الفكري والسياسي بين النظامين الحاكمين لكليهما، والبيئة العدائية الإقليمية المحيطة بكل منهما، ومع تصاعد حدة

الخطابات والسياسات المعادية للمسلمين في سياسة كلتا الدولتين؛ لذا تحاول هذه الدراسة توضيح مدى تأثير البعد الديني في العلاقات الهندية الإسرائيلية.

أسئلة الدراسة:

في ضوء الإشكالية سالفة الذكر؛ تدور الدراسة حول سؤال محوري ألا وهو: كيف أثر البعد الديني في العلاقات الهندية الإسرائيلية؟ وفي إطار هذا التساؤل الرئيس تسعى الدراسة إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات الفرعية وهي كما يلي:

١- ما تأثير تنامي القومية الدينية في السياستين الهندية والإسرائيلية في العلاقات الهندية الإسرائيلية؟

٢- ما تأثير الهوية العدائية للآخر الإسلامي لدى القوميتين الدينيتين الهندية والإسرائيلية في تعزيز العلاقات بين الهند وإسرائيل؟

٣- ما مستقبل العلاقات الهندية الإسرائيلية في ظل تنامي القوميات الدينية في كلتا الدولتين؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من نقاط عدة، أولها: أنها تأتي في إطار الاهتمام المتزايد والمتجدد بالبعد الديني في العلاقات الدولية، والتي تعاظمت في الفترة التي تلت الحرب الباردة؛ وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي اهتمت بالبعد الديني إلا أن جل اهتمامها منصباً على السياسة الخارجية للدول، وحجم الدراسات المهتمة بتأثير الدين في العلاقات ما بين دولتين لا يزال قليلاً، لذا تحاول هذه الدراسة تقديم إسهاماً تطبيقياً في هذا المضمار؛ حيث تسعى لاختبار مقولات وفروض النظرية البنائية في تحليل تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية بالتطبيق على العلاقات بين الهند وإسرائيل. وثانيها، أن الدراسة تبحث في جدلية العلاقة بين تغير قيم ومعتقدات النظام السياسي وتأثيرها في طبيعة العلاقات الدولية.

وثالثها، أنها تتناول دولتين لهما قدر كبير من الأهمية؛ فالهند إحدى أهم القوى الآسيوية الصاعدة، وإسرائيل صاحبة دور إقليمي بارز؛ لا سيما في ظل تغلغلها الكبير في آسيا، وتطبيعها مع بعض الأنظمة العربية؛ فالتطور الكبير في العلاقات بين البلدين له

انعكاسات كبيرة على المنطقة العربية في إطار التغيرات الإقليمية والدولية التي تعصف بالمنطقة. ورابعها، أنها تأتي في إطار تنامي قوة اليمين الديني القومي في سياسة الهند وإسرائيل؛ إذ يمثل اليمين الهندوسي والصهيوني بما يتبنيانه من أفكار دينية متطرفة تهديداً للدول العربية والإسلامية، لا سيما في ظل تحالف اليمين الهندوسي مع اليمين الديني الصهيوني ضد القضية الفلسطينية وهو ما ظهر جلياً في دعم الهند الكامل بقيادة ناريندرا مودي لإسرائيل في عدوانها على غزة عقب أحداث طوفان الأقصى.

أهداف الدراسة:

١- تجلية مدى تأثير التقارب بين القومية الهندوسية والقومية اليهودية في العلاقات بين الهند وإسرائيل.

٢- استشراف مستقبل العلاقات الهندية الإسرائيلية في ظل تنامي القوميات الدينية في كلتا الدولتين.

مفاهيم الدراسة:

١-البعد الديني

يُعرف البعد الديني في نطاق هذه الدراسة بأنه: مجموعة من القيم والأفكار والمعتقدات المقدسة التي تساهم في تشكيل هوية ومصالح الفواعل الدولية، وتحدد سلوكها وتوجهاتها حيال بعضها البعض؛ والدين المقصود هنا في إطار العلاقات الهندية الإسرائيلية هو الهندوسية في الحالة الهندية، واليهودية في الحالة الإسرائيلية. والقيم والمعتقدات المشتركة هي التقارب الفكري بين القومية الهندوسية في الهند والصهيونية في إسرائيل، في إطار تصور الذات (الهندوسية، اليهودية) في مقابل الآخر (الإسلامي)، والفواعل التي سيتم التركيز عليها هي الفواعل المتبنية لعقيدة الصهيونية والهندوتفا في كلا البلدين، سواء حكومية أم غير حكومية.

٢- العلاقات الهندية الإسرائيلية:

تعددت تعريفات العلاقات الدولية فلا يوجد تعريف محدد لها، فيمكن تعريفها بأنها: ظاهرة من التفاعلات المتبادلة والمتداخلة السياسية وغير السياسية بين مختلف

وحدات المجتمع الدولي (حقي، ٢٠١٠، ص ١٥) ويصعب الفصل بين هذه التفاعلات لتداخلها وتشابكها؛ فالبيئة المحيطة بها شديدة التغير والتحول، كما أنها لا تقتصر على الدول؛ بل تشمل التفاعلات الحادثة بين كافة الفواعل الدولية؛ فالعلاقات الهندية الإسرائيلية هي كافة التفاعلات التي تحدث بين الهند وإسرائيل على كل المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية؛ سواء أكانت رسمية أو غير رسمية، داخلية أو خارجية.

منهجية الدراسة:

تعطي النظرية البنائية أهمية كبيرة للعوامل الثقافية والدينية والقيمية في تحليل وتفسير ظواهر العلاقات الدولية، حيث تنص على أن الهوية هي المتغير الرئيس المفسر لتلك الظواهر، فهي وفقاً للبنائيين تصوغ سلوك الفواعل الدولية وتصنعه؛ وتشكل مصالحها؛ فلا يستطيع الفاعلون تحديد مصالحهم حتى يدركوا ذاتهم (ونت، ٢٠٠٦، ص ٣٢٣) فالدولة وغيرها من الفواعل غير الدولية هي كيانات اجتماعية عند البنائيين، أي تتشكل نتيجة القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار؛ ويؤدي الدين دوراً رئيساً في تشكيل هويتها ومصالحها باعتباره من أهم ما تتأسس عليه تلك القيم والمعتقدات؛ فهو يشكل جزءاً من المعايير والقواعد والقيم التي تحكم علاقات الدول والفواعل من غير الدول؛ أي يحدد كيف تنظر تلك الفواعل لنفسها وللآخرين (خليل، ٢٠٢٠، ص٣٩٤). وتأسيساً على ذلك تعتمد الدراسة على النظرية البنائية، في تحليل تأثير القوميات الدينية في العلاقات الهندية الإسرائيلية. وفي ضوء ذلك يستند الباحثون على عدة مناهج:

١-المنهج الوصفي التحليلي: وهو منهج يقوم على التعرف على طبيعة ظاهرة ما، ورصد خصائصها، وأهم المتغيرات المرتبطة بها المستقلة والتابعة، والعلاقات بينها؛ ويستعين به الباحثون للتعرف على البعد الديني ومدى تأثيره في العلاقات الهندية الإسرائيلية، والعلاقة بين البعد الديني والأبعاد الأخرى السياسية والاقتصادية والعسكرية في العلاقات بين الهند وإسرائيل.

٢-المدخل التاريخي: ويستند هذا المدخل على تحليل الأحداث التاريخية لفهم الحاضر والمستقبل؛ ففهم أي ظاهرة لا يمكن أن يكون دقيقاً إلا في ضوء التطور التاريخي لها، ويقوم هذا المدخل على رؤية شاملة للعلاقات بين الدول والمجتمعات تتناول التطور التاريخي لكافة الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية للظاهرة، فتوظيف المعطيات التاريخية ضروري لفهم تأثير البعد الديني في العلاقات الهندية الإسرائيلية. ويستخدمه الباحثون في تحليل كيفية تشكل الذاكرة التاريخية الدينية الصراعية وتأثيرها في تنامي العداء للآخر الإسلامي من قبل القومية الدينية في الهند وإسرائيل، وكيف أثرت هذه الهوية على العلاقات بين الهند وإسرائيل؟

٣-منهج تحليل الخطاب: ويركز فيه الباحثون على تحليل خطابات المسؤولين الهنود والإسرائيليين، وكذلك خطابات الفواعل غير الحكومية من المنظمات القومية الدينية التي تتبنى عقيدتي الهندوتفا والصهيونية في كلتا الدولتين.

ولتحقيق ذلك سيتم تقسيم الدراسة إلى أربعة أقسام، يتناول الأول، تأثير صعود حزب بهاراتيا جاناتا في التحول السياسي في العلاقات بين الهند وإسرائيل، ويستعرض الثاني، تأثير التقارب بين نتنياهو ومودي في تعزيز العلاقات الهندية الإسرائيلية، بينما يتناول الثالث، تأثير الهوية الدينية في التعاون الأمني والعسكري بين البلدين، بينما يعرض الرابع، تأثير الهوية الدينية في سياسة الهند تجاه أحداث طوفان الأقصى.

أولاً: البعد الديني والتحول في العلاقات السياسية بين الهند وإسرائيل

منذ اعتراف الهند بإسرائيل في عام ١٩٥٠، شكل العامل الإسلامي بشقيه الداخلي المتعلق بالضغط الذي مارسته الأقلية المسلمة في الهند على صانع القرار الهندي، أو الخارجي المتعلق بالعامل الباكستاني والصراع بين الهند وباكستان على كسب رضا العالم الإسلامي، عائقاً رئيسياً لتطبيع العلاقات بين الهند وإسرائيل؛ بيد أن ذلك لم يدم طويلاً، إذ إنه بحلول أواخر سبعينيات القرن العشرين، بدأت بوادر التحول الإيجابي في العلاقات بين الدولتين؛ بتشكيل حكومة هندية بقيادة حزب هندوسي قومي وهو حزب جان سانغ BJS؛ لأول مرة في تاريخ الهند في مارس ١٩٧٧، وأدى ذلك

وما تلاه من اضطرابات دينية بين الهندوس والمسلمين إلى تنامي تأثير القومية الهندوسية في السياسة الهندية، مما ساهم بشكل كبير في تغير سياسة الهند تجاه إسرائيل، والتي انتهت بتطبيع العلاقات بين البلدين في يناير ١٩٩٢.

ونتيجة لصعود حكومة حزب بهاراتيا جانتا BJP - وريث حزب جان سانغ- إلى الحكم في الهند بقيادة ناريندرا مودي في مايو ٢٠١٤، تغير مسار العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ إذ انعكس التقارب الديني والأيديولوجي بين القوميتين اليهودية والهندوسية وعزز من الصداقة الهندية الإسرائيلية، فاستناداً على تعريف الدولة الهندية على أساس القومية الهندوسية، فحزب بهاراتيا جاناتا ومن قبله القوميون الهندوس، كانوا دائما يطالبون بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، ويتهمون حزب المؤتمر الهندي بالانحياز للأقلية الإسلامية في الهند، ومن جراء تنامي صعود حزب بهاراتيا جاناتا في السياسة الهندية، زاد التأييد الشعبي الهندي الموالي لإسرائيل؛ فلم يعد حزب بهاراتيا جاناتا يخشى غضب الأقلية الإسلامية في الهند، ولا الدول الإسلامية كمنافسه السياسي حزب المؤتمر، وسرعان ما تجلى هذا التقارب في العديد من الزيارات والتصريحات المتبادلة بين البلدين.

وبعد تولي ناريندرا مودي رئاسة الوزراء الهندية في مايو ٢٠١٤، حدث تحول كبير في العلاقات بين البلدين، وتبدى هذا التحول في عدة مؤشرات أولها، لقاء مودي بنظيره الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠١٤، ولقائه مرة أخرى بنتنياهو خلال مؤتمر باريس للمناخ في نوفمبر ٢٠١٥، ووصف فيه نتنياهو العلاقات الهندية الإسرائيلية بأن حدودها السماء. وجاء المؤشر الثاني في تحول النمط التصويتي للهند تجاه إسرائيل، حيث امتنعت الهند عن التصويت على قرار لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في يوليو ٢٠١٥، يدين إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في عدوانها على غزة عام ٢٠١٤، وامتنعت مرة أخرى في مارس ٢٠١٦. كما جاء القرار الهندي فيما يتعلق بإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن القدس عاصمة لإسرائيل في ٢٠١٧، باهتاً وغامضاً؛ إذ كان تعليق الهند على القرار مقتضباً ولم يعلن صراحة رفض القرار أم قبوله (فكري، ٢٠١٨، ص ٤).

وفي سابقة لم تحدث من قبل قام الرئيس الهندي آنذاك براناب موخري، بزيارة إسرائيل في أكتوبر ٢٠١٥؛ إذ يعد أول رئيس هندي يزور إسرائيل، وقد استقبله الرئيس الإسرائيلي ورئيس الوزراء استقبالاً حاراً، وفي يناير ٢٠١٦، قامت وزيرة الخارجية الهندية سوشما سواراج، بزيارة لإسرائيل التقت خلالها برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ونوقشت فيها التعاون بين البلدين في مجالات متنوعة، ورداً على زيارة الرئيس الهندي وملبياً لدعوته، قام الرئيس الإسرائيلي رؤفين ريفلين بزيارة الهند في نوفمبر ٢٠١٦، واستغرقت هذه الزيارة أسبوعاً، وناقش الجانبان فيها تعزيز العلاقات بين البلدين، والتقى الرئيس الإسرائيلي خلالها بالجالية اليهودية في مومباي، ويعكس تقارب هذه الزيارات مدى التقدم الذي أصاب العلاقات بين البلدين في ظل حكومتي اليمين الديني الحاكمة في كلتا الدولتين(Kaura, 2017,p.82).

وأتت زيارة مودي لإسرائيل في٤ يوليو ٢٠١٧، لتشكل تحولاً هاماً في تاريخ العلاقات بين البلدين؛ إذ يعد ناريندرا مودي أول رئيس وزراء هندي تطأ قدماه إسرائيل، واستقبله خلال هذه الزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو استقبالا حاراً؛ حيث استقبله في مطار ابن جوريون ورحب به قائلاً: "لقد انتظرناك طويلا". ولم يزر مودي فلسطين خلال هذه الجولة؛ في خرق واضح لما اعتاده المسؤولون الهنود في مرحلة ما بعد تطبيع العلاقات بين البلدين، كما أشاد نتنياهو بالزيارة واصفاً إياها بالتاريخية (فكري، ٢٠١٨، ص ١). وفي أثناء الزيارة قام مودي بزيارة قبر زعيم الصهيونية ثيودور هيرتزل ووضع عليه إكليلاً من الزهور، في تمجيد واضح لأبي الصهيونية هرتزل(Kumaraswamy, 2018,p.7)؛ مما يعكس أثر العلاقات التاريخية بين القوميين الهندوس والقوميين اليهود على العلاقات بين البلدين(Gupta, 2019,p.78).

ورداً على زيارة مودي، قام نتنياهو بزيارة الهند في يناير ٢٠١٨ احتفالاً بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لتطبيع العلاقات بين البلدين، واستقبله مودي استقبالاً حافلاً في مطار نيودلهي، واستمرت زيارته ٦ أيام، ويعكس هذا الاستقبال الحافل مدى عمق العلاقات بين البلدين، وبخاصة العلاقة التي تربط نتنياهو بنظيره

مودي. وأكد نتنياهو على أهمية الروابط الدينية في العلاقات بين البلدين إذ قال" هناك ثلاثة عناصر تربط دولتينا ببعضهما البعض، أولها أن كلانا نملك الماضي العريق، وثانيها أننا نملك الحاضر المفعم بالحيوية، وثالثها، أننا نستمسك معاً بمستقبل واعد، وكلانا نفتخر بتاريخنا الغني، وبمساهمة شعبينا للحضارة البشرية في ميادين اللغة والأدب والدين؛ إذ إن أكبر النصوص التي صنعها البشر كتبت بالعبرية والسنسكريتية". كما أشار نتنياهو إلى أن المعاملة الطيبة التي تلقتها الجالية اليهودية في الهند هي سبب رئيس في تميز الهند وشعبها عن بقية الشعوب الأخرى التي اضطهدت اليهود وعادت السامية، فيهود الهند والإسرائيليون من أصل هندي يشكلون جسراً للعلاقات بين الهند وإسرائيل(Israeli Prime Minister's Office, 2017).

وتأكيداً لتأثير مودي وعقيدته الدينية في العلاقات بين البلدين، قال السفير الإسرائيلي في الهند آنذاك ألون أشبيز، إن إسرائيل وطدت علاقاتها بالهند عن طريق البوابة الشرقية العليا للهند وهي ولاية غوجارات، واعتمدت إسرائيل في ذلك على ركيزتين أساسيتين، أولهما عداء مودي للمسلمين الهنود الذين هم الدعامة الرئيسية للموقف الهندي المساند للقضية الفلسطينية، وثانيهما هو وجود أقلية يهودية إذ كان مودي حنوناً معها وكريماً معها على حد تعبير السفير الإسرائيلي (الفطافطة ويوسف، ٢٠٢٠، ص ص ٢٧٤-٢٧٥).

ثانياً: العلاقة بين نتنياهو ومودي وتأثيرها في العلاقات بين الهند وإسرائيل

تنص النظرية البنائية على أن العالم لا يوجد بمعزل عن أفكار ممثليه، وتأسيساً على ذلك فليزم لفهم العلاقات بين الهند وإسرائيل تحليل هوية ممثلي الدولتين وتأثيرها في العلاقات بينهما؛ وبخاصة أن كليهما ينتميان إلى اليمين الديني، وتربطهما علاقة شخصية وسياسة قوية؛ لا سيما في ظل تنامي تأثير القوميات الدينية في سياسة الدولتين الداخلية والخارجية.

١-التوجهات القومية والدينية لكل من نتنياهو ومودي تجاه الآخر الإسلامي

يعد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أطول رئيس وزراء إسرائيلي مدة، ومودي هو ثاني أكبر رئيس وزراء مدة بعد نهرو، وهذا يجعل من دراسة تأثيرهما عاملاً مهماً في تفسير التحول في العلاقات بين البلدين؛ وعلى الرغم من

سيطرة الاتجاه النهروي على السياسة الخارجية الهندية تجاه إسرائيل في الفترة التي سبقت العام ١٩٩٢، إلا أن مودي قد غير وجه السياسة الهندية تجاه إسرائيل تماماً؛ فإذا كان نهرو قد أسس دعائم السياسة الهندية الأولى تجاه إسرائيل، القائمة على نبذ الاستعمار ورفض تطبيع العلاقات مع إسرائيل؛ ومن جراء تلك السياسة لم تقم الهند علاقات رسمية مع إسرائيل لفترة دامت أكثر من أربعة عقود، فإن ناريندرا مودي بتوليه رئاسة وزراء الهند ٢٠١٤ قد أسس هنداً أخرى أكثر تقارباً مع إسرائيل.

بدأ مودي انخراطه في العملية السياسية منذ عام ١٩٧٠، عندما انضوى تحت لواء منظمة RSS الهندوسية المتطرفة، وربيَّ في محاضنها منذ الثامنة من عمره، ثم ما لبث أن ترقى في سلم مناصبها حتى أضحى عضواً بارزاً في المنظمة، ثم واصل مسيرته السياسية بانضمامه إلى حزب بهاراتيا جاناتا عام ١٩٨٧، وفي عام ٢٠٠١ أصبح رئيساً لوزراء ولاية غوجارات تحت قيادة حزب بهارتيا جاناتا، وانتهي به المطاف السياسي رئيساً لوزراء الهند في مايو ٢٠١٤، وكانت لنشأته وتكوينه الديني أثر كبير في سياساته الداخلية في الهند، إذ عمل على الترويج للثقافة الهندوسية القومية في السياسة الهندية(وهبان وآخرون، ٢٠٢٤، ص ص ٦٢٩-٦٣١).

ونشأ نتنياهو نشأة علمانية إذ كان أبوه من كبار مساعدي القيادي الصهيوني المتطرف زئيف جابوتنسكي، وكان أبوه من أشد مؤيدي فكرة إسرائيل الكبرى، وزرع أبوه فيه منذ نعومة أظفاره كراهية العرب والمسلمين، ويحاول نتنياهو أن يسيطر على السياسة الإسرائيلية ويطبعها بطابعه؛ فمنذ نشأة إسرائيل لم يكف قادتها يوماً عن استغلال الدين وتوظيفه في سياستهم، وفي مقدمتهم نتنياهو الذي فاقهم جميعاً في هذا المضمار(مصطفى،٢٠١٩، ص ٨)؛ إذ ينظر نتنياهو إلى نفسه على أنه زعيم للأمة اليهودية، لا رئيساً لدولة إسرائيل، ويرى أن الصراع في فلسطين هو صراع حضاري بين الغرب بمركزيته المسيحية اليهودية والأمة الإسلامية(مصطفى، ٢٠١٩، ص ١٥) وأن إسرائيل هي خط الدفاع الرئيس ضد خطر الإرهاب الإسلامي الذي يهدد الغرب، ويزعم نتنياهو أن مفتي القدس أمين الحسيني هو من أقنع هتلر بإبادة اليهود (نتنياهو، ٢٠١٥، ص ص ٢٦٧-٢٦٨)، ويصف العرب بأنهم غرباء عن الأراضي

الفلسطينية، وأنها ليست ملكاً لهم(نتنياهو، ٢٠١٥، ص ١١٢). وأن العرب أو المحتلين الإسماعيليين كما يصفهم نتنياهو -نسبة إلى نبي الله إسماعيل- هم من دمروا أرض اليهود وسلبوها منهم (نتنياهو، ٢٠١٥، ص ص ٩٣-٩٥).

ونسجاً على منواله يرى مودي أنه مبعوث من قبل إله الهندوس للقيام بمهمة قيادة الهند، وأن الآلهة تُنفذ إرادتها من خلاله، وقال إنه يمتلك طاقة لا تأتي من جسم بيولوجي في إشارة واضحة إلى مكانته الدينية، وأنه ليس مجرد شخص عادٍ، وذلك في تصريح انتخابي له في مايو٢٠٢٤(فهيم، ٢٠٢٤، ص ٤٨)، ويرى مودي أن المسلمين هم من هدموا معبد الإله رام الهندوسي، وأقاموا على أنقاضه مسجد بابري[١]، ووصف مودي وضعه حجر تأسيس معبد الإله رام على أنقاض مسجد بابري في يناير ٢٠٢٤، بأنه انتصار للهند الحديثة على الأغراب وهم المسلمون الذي تسللوا للهند على حد وصفه.

ويستند مودي على عقيدة الهندوتفا بقيادة حزبه بهاراتيا جاناتا، الذي يرى أن الهند دولة هندوسية، وفي المقابل يستند نتنياهو على فكرة الدولة اليهودية كقاعدة لتصوره السياسي لإسرائيل، وكلاهما يستخدم خطاباً معادياً للمسلمين في بلديهما، إذ يكثر في خطابهما استخدام كلمات الآخر والتهديد والإرهاب والغرباء(عبد الحي، ٢٠٢١، ص ٧)، في إشارة واضحة للتهديد الإسلامي لبلديهما، حيث يربطان بين الإسلام والإرهاب، ومن ثم يتم أمننة الإسلام في خطاب كل منهما؛ فنتنياهو ينظر إلى المسلمين على أنهم أعداء في إطار الصراع العربي الإسرائيلي، وأنهم يمثلون ذروة

[١] مسجد بابري، يقع في مدينة أيوديا Ayodhya، في ولاية أوترابانديش في شمال الهند، شيده مؤسس الإمبراطورية الإسلامية في الهند، ظهير الدين محمد بابر في القرن السادس عشر الميلادي، وهُدم على يدي المتعصبين الهندوس في ٦ ديسمبر ١٩٩٢، وتشكل قضية هذا المسجد علامة محورية في تاريخ الصراع الهندوسي الإسلامي في الهند، واستغله حزب بهاراتيا جاناتا في ترسيخ نفوذه السياسي في الهند.

الشر حيث وصفهم بالعماليق[٢]، ومحور الظلام، وغير الحضاريين، في توظيف واضح للنصوص التوراتية في رويته للمسلمين.

وعلى خطاه يسير مودي؛ إذ ينظر إليهم على أنهم أعداء ومصدر للتوترات الداخلية في الهند في إطار الصراع بين بلاده وباكستان؛ حيث وصفهم بالمتسللين، والأغراب، وانعكس كل ذلك في سلوك السياسي في تعامله مع مسلمي الهند، حيث ضاقت بهم سياسته ذرعاً، فقام بتضيق الخناق على ولاية كشمير ذات الأغلبية المسلمة، وانتزع الجنسية الهندية من ملايين الهنود المسلمين تحت مظلة قانون الجنسية الذي صدر في عام ٢٠١٩، وأعاد كتابة المناهج الدراسية في الهندية وأزال منها كل ما يشير إلى دور المسلمين في بناء الهند؛ ومما سبق يتضح مدى مركزية البعد الديني لدى كل من مودي ونتنياهو في رؤيتهما للآخر الإسلامي.

٢- التقارب بين مودي ونتنياهو وتأثيره في العلاقات الهندية الإسرائيلية

ينعكس التقارب بين مودي ونتنياهو إيجاباً على العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ فعندما تولى مودي رئاسة الوزراء الهندية في مايو ٢٠١٤، كان نظيره الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أول مسؤول أجنبي يهنئه بفوزه، وبمناسبة عيد الفصح اليهودي هنأ مودي نتنياهو عبر منصة اكس قائلاً "عطلات سعيدة، أصدقاء" فرد عليه نتنياهو مغرداً " شكراً يا صديقي، على تحية العيد الكريمة. إن شعب إسرائيل ينتظر بفارغ الصبر زيارتك التاريخية (الفطاطفة ويوسف، ٢٠٢٠، ص ٢٦٩)، وبذلك يعتبر مودي هو أول رئيس وزراء هندي يهنئ الشعب اليهودي بأعياده الدينية باللغة العبرية. وفي زيارته لإسرائيل صرح مودي قائلا إن زيارته تذكرنا بالصلة العميقة التي تمتد لقرون طويلة بين مجتمعاتنا، في إشارة واضحة للعلاقات التاريخية بين اليهود والهندوس، وأشار أن البلدين يعتبران نفسيهما مهد الحضارة، وأكد على أن

[٢] تشير كلمة عماليق إلى قبيلة بدوية كانت تسكن شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين، وتستخدم في الثقافة اليهودية للتعبير عن ذروة الشر.

الهجرة التاريخية لليهود إلى الهند، والتراث اليهودي في الهند يمثلان رابطاً قوياً للعلاقات بين البلدين(Pate,2020, p.23).

ويعبر مودي دائماً عن إعجابه بالنموذج الإسرائيلي، ففي أثناء توليه لرئاسة وزراء ولاية غوجارات الهندية، أعرب عن إعجابه بإنجازات إسرائيل الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وكيف حولت إسرائيل الصحراء إلى أرض مزدهرة، كما سهل مودي زيارات متتالية لسياسيين ومزارعين ورجال أعمال هنود إلى إسرائيل، وفي أثناء توليه رئاسة وزراء الهند ٢٠١٤، حرص على اختيار سوشما سوراج، الرئيسة السابقة لمجموعة الصداقة البرلمانية الهندية الإسرائيلية، التي كان لها دور بارز في تطبيع العلاقات بين البلدين وزيرةً للخارجية الهندية(Khan, 2017, p.2).

كما أعرب نتنياهو عن امتنانه للاستقبال الحافل الذي تلقاه من مودي، في أثناء زيارة نتنياهو للهند قائلاً له "لقد تأثرت كثيراً بالمراسم التي أقيمت هذا اليوم، والتي عبرت ليس عن الاحترام الذي تكنه لي فحسب، بل عن الاحترام الذي تكنه للشعب اليهودي ودولة إسرائيل(الموقع الرسمي لنتنياهو، ٢٠١٨) " كما أشاد نتنياهو بما وصفه بعصر جديد تشهده العلاقات بين الهند وإسرائيل، بفضل زعامة مودي إذ صرح قائلاً" إننا نبشر اليوم ببدء عصر جديد تشهده علاقاتنا، فمع أن العلاقات الدبلوماسية تسود بيننا منذ ٢٥ عاماً، إلا أنه يحدث حالياً شيء مختلف بفضل زعامتكم" (الموقع الرسمي لنتنياهو، ٢٠١٨).

وأكد مودي أيضاً خلال زيارته لإسرائيل، على أن العلاقة بين الهند وإسرائيل ليست مجرد علاقة سياسية أو اقتصادية فحسب، بل هناك صلة عميقة بين شعبي البلدين تدعمها قيم ثقافية وروحية مشتركة، حيث يؤكد مودي على وجود روابط أعمق من المصالح الاقتصادية، ويشير إلى البعد الديني والثقافي كجزء من هذه الروابط، ويظهر توظيف الدين في زيارات الزعيمين، فخلال زيارة مودي لإسرائيل حرص على زيارة الأماكن المقدسة اليهودية، وكذلك الإشارة إلى الحضارة اليهودية والهندوسية كجزء أصيل من تاريخ العلاقات بين البلدين، وهنأ مودي اليهود في الهند

وإسرائيل بعيد التدشين اليهودي " حانوكا" في ٧ ديسمبر ٢٠٢٣، وأرسل التهنئة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو.

ورأى نتنياهو في مودي زعيماً لا يخشى التعاون مع إسرائيل فحسب، بل يسعى بلا تتردد إلى تقليد النموذج الإسرائيلي في الهند وبخاصة في كشمير؛ إذ إنه كثيراً ما يشيد بالتعاون الإسرائيلي الهندي في محاربة الإرهاب، مما يوحي بمركزية التهديد المشترك المتمثل بالآخر الإسلامي في خطابيهما، وهذه السردية يتبدى فيها الدين أداة سياسية لتعزيز العلاقات بين البلدين، في إطار توظيف الدين في خطاب كل منهما؛ حيث يكثر في لقاءاتهما استخدام التعبيرات ذات البعد الديني -في إشارة واضحة للديانتين الهندوسية واليهودية- مثل تحالف الحضارات القديمة، والأخوة الحضارية.

فالعلاقات القوية التي تربط بين نتنياهو ومودي، والتي يظهر بجلاء في الخطاب المتبادل بين الزعيمين؛ حيث يشير كل منها إلى الآخر بصديقي عبر تغريداتهما المتبادلة على منصة إكس، ليست نابعة من التعاون العسكري والاقتصادي بين البلدين، بل نابعة من الإعجاب العميق الذي يكنه القوميون الهندوس وفي مقدمتهم قائدهم مودي، لنموذج الدول اليهودية الإسرائيلية، وقادتها وعلى رأسهم نتنياهو؛ وهذا يتوافق مع ما صرح به زعيم الهندوتفا سافاركار في كتابه من هو الهندوسي عندما قال: "إذا تحققت أحلام الصهاينة وأصبحت فلسطين دولة يهودية فسوف يسعدنا هذا التحول بقدر ما يسعد أصدقاءنا اليهود، فالقوميون الهندوس يسعون لاستنساخ تجربة دولة إسرائيل في الهند(Bose, 2019).

فتساعد القومية الهندوسية الراسخة التي يسير على خطاها ناريندرا مودي في تفسير المستوى العالي من الود الذي يكنه لإسرائيل، حيث تتشابه الأسس الدينية للقوميتين اليهودية والهندوسية، في كثير من الأمور، وبخاصة الربط بين الأمة والقومية والعقيدة الدينية، والحنين إلى أمجاد حضارية دينية، فلقد اعترف حزب بهاراتيا جاناتا وهو الحزب الهندوسي الأكثر قوة في الهند بإسرائيل، وكثيراً ما يعرب عن إعجابه بنموذجها القومي الديني؛ فهذا التشابه أوجد هوية جماعية، ساعدت في

تقوية العلاقات بين البلدين، وهذا ما يعكسه التوافق الواضح بين سياسة مودي الإيجابية تجاه إسرائيل، وعقيدة الهندوتفا التي يتبناها(Purayil, 2020, p8).

كما أن التشابه الكبير بين الزعيمين مودي ونتنياهو، في رؤيتهما وسياستهما تجاه الآخر الإسلامي، له تأثير كبير في تعزيز العلاقات بين الهند وإسرائيل؛ إذ إن كلاهما معادٍ للأقلية الإسلامية في بلديهما، وكلاهما يقود سياسات قومية مرتبطة بجماعات دينية في بلديهما مناهضة للإسلام. وكلاهما يواجه دولاً إسلامية معادية؛ باكستان في الحالة الهندية، وإيران والجماعات الإسلامية المسلحة كحماس وحزب الله في الحالة الإسرائيلية، وكلاهما يعتقد أن ما يسميانه الإرهاب الإسلامي هو الخطر الأكبر الذي يهدد بلديهما، ومن ثم كان لهذا التشابه تأثير كبير في تعزيز العلاقات بين البلدين، وهو ما تمظهر في التنامي الواضح للعلاقات بين البلدين في ظل حكم كل من نتنياهو ومودي.

ثالثاً: البعد الديني وتأثيره في التعاون الأمني والعسكري بين البلدين

ترسخت الهوية الهندوسية في السياسة الهندية وبخاصة بعد تولي ناريندرا مودي رئاسة وزراء الهند في مايو ٢٠١٤؛ حيث ترى الهند بقيادة مودي إسرائيل من هذا المنظور بأنها شريكة في مواجهة التهديدات المشتركة بين البلدين، وعلى رأس هذه التهديدات ما يسميانه الإرهاب الإسلامي. وانعكس ذلك في سياسات البلدين التعاونية في المجالات الأمنية والعسكرية، وخطابات مسؤولي الدولتين حيال بعضهما البعض؛ فعلى هامش الدورة السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠١٤، التقى نتنياهو بمودي وبحثا التعاون الإيجابي بين البلدين، وأشارا إلى الخطر المشترك بين البلدين وهو محاربة الإرهاب الإسلامي، وأكد نتنياهو على مساعدة الهند في ذلك، وقال مودي إن الهند هي الدولة الوحيدة التي لم يسمح فيها بمعاداة السامية، ولم يتعرض فيها اليهود لسوء، وباعتباره قومياً هندوسياً، ينظر مودي إلى إسرائيل من تصور الهندوتفا؛ إذ يعتقد القوميون الهندوس أن الهند وإسرائيل، واليهود والهندوس، يواجهون تهديداً مشتركا مما يسمونه الإسلام المتطرف (بثياغودا، ٢٠١٥، ص ٧).

فخلال زيارة نتنياهو للهند في يناير ٢٠١٨، قال إن الهند وإسرائيل تتعرضان لخطر الإسلام الراديكالي، واستحضر نتنياهو هجمات بومباي التي وقعت في٢٩ نوفمبر ٢٠٠٨، مستهدفة عدة مبانٍ وفنادق ومستشفيات هندية، وأسفرت عن مقتل ١٩٥، بينهم تسعة من اليهود الإسرائيليين، واتهمت الهند حينها باكستان بدعم هذه الجماعات، ووصفها نتنياهو بالضربة الهمجية؛ مما يوحي بتبني إسرائيل للموقف الهندي تجاه علاقة باكستان بالتنظيمات الإسلامية المسلحة؛ وهذا يعني انحيازاً واضحاً للموقف الهندي، وفي المقابل في أثناء زيارة مودي لإسرائيل في يوليو ٢٠١٧، استحضر عملية عنتيبي التي وقعت في عام ١٩٧٦، عندما اختطف مجموعة من الفلسطينيين، عدداً من اليهود على متن طائرة في مدينة عنتيبي الأوغندية، للمطالبة بإطلاق سراح مساجين فلسطينيين من السجون الإسرائيلية، وعلق عليها مودي مادحاً القوات الإسرائيلية حيث قال "أبطالكم مصدر إلهام للأجيال الشابة"، ويوضح هذا مدى أهمية محاربة ما تسميه الهند وإسرائيل بالإرهاب الإسلامي، باعتباره عاملاً مهماً في تعزيز التعاون الأمني المشترك بين البلدين(فرحات، ٢٠١٩، ص ١٤).

شكل رقم (١) يوضح صادرات السلاح الإسرائيلية للهند من ١٩٩٧: ٢٠٢٣

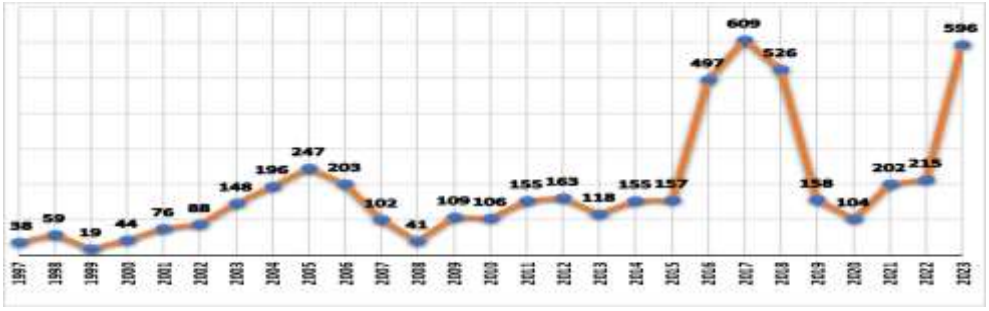

Source: Stockholm International Peace Research Institute, SIPRI Arms Transfers Database, accessed: 24 October 2024, available at: https://cutt.us/mfLzB

ويعكس الشكل سالف الذكر زيادة الصادرات العسكرية الإسرائيلية للهند، عقب وصول حكومة حزب بهاراتيا جاناتا الدينية إلى سدة الحكم في الهند منذ عام ٢٠١٤، مقارنة بتولي حكومات من حزب المؤتمر سدة الحكم في الهند؛ ففي ظل حكم حزب بهاراتيا جاناتا أصبحت الهند أكبر مشترٍ للسلاح الإسرائيلي في العالم، إذ ارتفعت صادرات السلاح الإسرائيلي للهند في الفترة من ٢٠١٥-٢٠٢٠، بنحو أكثر من ٤٠%، واستأثرت الهند في الفترة من ٢٠١٤ إلى ٢٠١٨ بأكثر من ٥٠ % من إجمالي صادرات إسرائيل من السلاح ، وأصبحت إسرائيل ثاني أكبر مورد عسكري للهند بعد روسيا(Stockholm , 2024)، مما يعكس تنامي التعاون العسكري بين البلدين في ظل حكومة مودي القومية الهندوسية.

وانعكس التقارب بين البلدين في الهوية على السياسيات الأمنية الداخلية لكل منهما، إذ عملت البلدان على محاكاة بعضهما البعض في السياسات المتعلقة بالأقلية المسلمة في كليهما، ففي ١٩ يوليو ٢٠١٨ أقر الكنيست الإسرائيلي قانون المواطنة، وهو قانون يجعل إسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي، وفي المقابل أعلنت الهند قانون المواطنة في ديسمبر ٢٠١٩، وهو قانون يجعل المواطنة الهندية حكراً على الهندوس، كما يتشابه ضم إسرائيل للقرى الفلسطينية في الضفة الغربية وتهجير أهلها بما تفعله السلطات الهندية في ظل حكم حزب بهاراتيا جاناتا في ولاية جامو وكشمير.

ومؤكداً على هذا التقارب القوي بينه وبين إسرائيل، فيما يتعلق بالعداء للمسلمين؛ ربط مودي في خطاب له في ولاية هيمتاشال براديش بالهند في أكتوبر ٢٠١٦، بين الهجمات التي يشنها الجيش الهندي على ما أطلق عليهم مودي بالإرهابين في كشمير، وبين الاعتداءات الإسرائيلية وسياسات الاغتيال التي تشنها إسرائيل على الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة، وتعكس هذه المقارنة بين العمل العسكري الإسرائيلي والهندي، تمجيد مودي الكبير للجيش الإسرائيلي، كما تشير إلى تقارب أيديولوجي بين الهند بقيادة مودي وإسرائيل، تدعمه الهوية المشتركة بين البلدين في محاربة عدو مشترك(Kaura, 2017, 85).

وخلاصة القول إن تأثير البعد الديني في تعزيز العلاقات الأمنية بين الهند وإسرائيل يظهر من خلال تأثيرين أساسيين، أولهما كإطار مفسر للتهديدات، حيث تعمل الهوية الدينية لكلا البلدين على تبني خطاب مشترك ضد الآخر الإسلامي بكونه يمثل تهديداً حضارياً لوجود الدولتين، حيث يعزز هذا الخطاب لدى الدولتين فكرة أنهما ضحية للعدو الإسلامي الذي ينعتونه بالغازي وبغير الحضاري. والتأثير الثاني للبعد الديني هو أداة لتعزيز التعاون بين البلدين وهو بذلك نتيجة للتأثير الأول؛ حيث تعمل الدولتان على توطيد التعاون الأمني بينهما كضرورة لحماية قيمهما ومصالحهما المشتركة، إذ يستخدم القادة السياسيون في كلتا الدولتين خطاباً دينياً لتعزيز التعاون الأمني بينهما.

رابعاً: الهوية الدينية وتأثيرها في سياسة الهند حيال طوفان الأقصى

من جراء سياسة التهويد التي انتهجتها إسرائيل حيال الفلسطينيين؛ استناداً على تصورات اليمين الصهيوني الديني الحاكم لإسرائيل، والاعتداء المتكرر الممنهج على المقدسات الإسلامية جاء طوفان الأقصى نتيجة لتلك الجرائم الصهيونية (حماس، ٢٠٢٤). وهذه الجرائم التي ما انفك قادة إسرائيل، وفي مقدمتهم بنيامين نتنياهو، عن التدثر بالرداء التوراتي لتبريرها؛ إذ صرح نتنياهو في خطاب له في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣، واصفاً المقاومة الفلسطينية بأبناء الظلام، والجيش الإسرائيلي بأبناء النور، وقال يجب أن تتذكروا ما فعله عماليق بكم، وربط نتنياهو في خطبته هذه بين الحروب الإسرائيلية مع العرب وفي مقدمتهم المقاومة الفلسطينية، والحروب الدينية التي خاضها اليهود مع أعدائهم في التوراة؛ في توظيف واضح للبعد الديني لدعم الإبادة الجماعية للفلسطينيين في غزة.

وعلى غراره أدان رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي أحداث ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وأعلن تضامنه مع إسرائيل في مواجهة ما سماه خطر التطرف، ووصف حماس في تغريدته بأنها إرهابية، وقال " أفكارنا وصلواتنا مع الضحايا الأبرياء، نحن نقف متضامنين مع إسرائيل في هذه الساعة الصعبة" (Kumaraswamy, 2024, 411-412). وهذا يعد تحولاً كبيراً في سياسة الهند تجاه فلسطين؛ إذ لم يصف رئيس

وزراء هندي قط المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، ويعكس هذا الموقف التحول الكبير الذي اصطبغت به السياسة الهندية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي في عهد حكومة مودي القومية الدينية. وتعكس الخطابات المتقاربة بين القادة السياسيين الهنود والإسرائيليين تجاه أحداث طوفان الأقصى؛ وخاصة نتنياهو ومودي في وصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، مدى تأثير الهوية الدينية المتمثل بأمننة الآخر الإسلامي في تعزيز العلاقات بين الهند وإسرائيل.

كما أوضحت المواقف الهندية تجاه حرب غزة ٢٠٢٣، التحول الكبير في العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ إذ امتنعت الهند عن التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح قرار وقف إطلاق النار، وصوتت لصالح قرار يطالب بالإفراج الفوري عن الأسرى الإسرائيليين في غزة، وأطلقت الحكومة الهندية العنان للمظاهرات الداعمة لإسرائيل، وفي المقابل قمعت المظاهرات التي رفضت العدوان الإسرائيلي ودعمت القضية الفلسطينية؛ فعلى سبيل المثال في ولاية أوتار براديش(أكبر ولاية هندية سكاناً) أصدر رئيس وزرائها المنتمي إلى حزب بهاراتيا جاناتا، أوامر بقمع المظاهرات الداعمة لفلسطين(Shafiee, 2024, 30)، وأوقفت شرطة الولاية شرطياً مسلماً عن العمل جراء قيامه بجمع التبرعات لدعم غزة، واعتقلت الشرطة الهندية أربعة طلاب في جامعة علكيرة الإسلامية بعد مشاركتهم في مسيرة داعمة لفلسطين، وفي المقابل قامت المنظمات الهندوسية بعمل مسيرات مؤيدة لإسرائيل وواصفة حماس والفلسطينيين بالإرهاب ولم تتعرض لها الحكومة الهندية بسوء. وصوتت الهند ضد قرار وقف إطلاق النار في الأمم المتحدة في ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وهذا يمثل تماهٍ واضح مع السردية الإسرائيلية.

وفي ١٣ نوفمبر ٢٠٢٣ امتنعت الهند عن التصويت على قرار للأمم المتحدة يرمي إلى التحقيق في الاعتداءات الإسرائيلية المتعلقة بحقوق الإنسان في غزة، وفي أبريل ٢٠٢٤ امتنعت أيضاً عن التصويت على قرار لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، يدعو إسرائيل إلى وقف فوري لإطلاق النار في غزة؛ كما أن المحكمة العليا في الهند رفضت دعوى قضائية رفعتها منظمات حقوقية مدنية تطالب الهند بوقف تصدير السلاح لإسرائيل،

بدعوى أن هذه القرارات تقع ضمن اختصاص الحكومة، كما رفضت الهند التوقيع على قرار يدين قرار إسرائيل بمنع الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش من الدخول إلى إسرائيل، حيث لم تنضم الهند إلى القرار الذي دعمته أكثر من مائة دولة من أعضاء الأمم المتحدة(عبد الحي، ٢٠٢٥، ص٥).

ولم يقف الدعم الهندي لإسرائيل على المستوى السياسي بل تخطاه إلى المستوى العسكري؛ حيث منعت السلطات الإسبانية في مايو ٢٠٢٤ سفينة تحمل ٢٧ طناً من الذخائر، كانت قادمة من ميناء مدراس الهندي ومتجهة إلى إسرائيل من الرسو في ميناء قرطاجنة الإسباني، وزودت الهند إسرائيل بعشرين طائرة مسيرة من طراز "هيرمز ٩٠٠" التي تم تصنيعها في مدينة حيدر آباد الهندية لصالح الجيش الهندي، وقد دشنت الدولتان هذا المصنع في إطار شراكة بين شركة "ألبيت" الإسرائيلية وتحالف شركات هندية يقودها الملياردير الهندي غوتام أداني، المقرب من رئيس الوزراء الهندي، ليصبح أول مصنع في العالم يصنع تلك الطائرات خارج إسرائيل، وهو ما يفسر قوة ومتانة التعاون العسكري بين الهند وإسرائيل وبخاصة في ظل حكم ناريندرا مودي. وهذا أمر غير مسبوق في حروب إسرائيل مع الفلسطينيين، إذ لم تدعم الهند قط إسرائيل عسكريا في أي حرب من حروبها ضد الدول العربية.

وفي كيان لم يكف يوماً عن استخدام المرتزقة في حروبه المتتالية، إذ كانت ميلشيا ما يسمى باليهود المتطوعين هي عنصر بشري رئيس في تشكيل عصابات الهاجانا التي شكلها بن جوريون، وجرياً على ذلك استعانت إسرائيل بمئات المرتزقة الهنود الهندوس لقتل الأبرياء في غزة، حيث قاتل أكثر من ٢١٥ هنديا في صفوف الجيش الإسرائيلي في غزة بعد أحداث طوفان الأقصى، واستغلت الحكومة الهندية الحرب في غزة لتأجيج المشاعر المعادية للمسلمين في الهند، إذ أوعزت إلى وسائل الإعلام الهندية لتشويه صورة حركة حماس، مما يدعمها في تعزيز علاقاتها مع إسرائيل.

وفي أثناء الحرب الهندية مع باكستان المعروفة بحرب كارجيل في ١٩٩٩، كانت إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي أمدت الهند بالسلاح، وهذا الدعم الهندي لإسرائيل في أحداث طوفان الأقصى؛ يأتي من تصور الهوية الهندية بقيادة مودي

لحرب إسرائيل في غزة على أنها محنة واقعة فيها إسرائيل، وهي تساعد إسرائيل من منطلق وحدة الهوية العدائية تجاه خطر مشترك وهو يتمظهر فيما يسمونه الإرهاب الإسلامي، وهو ما أكده السفير الإسرائيلي الأسبق في الهند دانيال كرمون في تصريح لصحيفة يديعوت أحرنوت في يونيو ٢٠٢٤، حيث أشار إلى أن الهند ممتنة لإسرائيل لمساعدة إسرائيل لها في حرب كارجيل ضد باكستان، والهند بمساعدتها العسكرية لإسرائيل ترد لها هذا الجميل(De, 2024).

وتبنت وسائل الإعلام والصحافة الهندية التابعة للقوميين الهندوس خطابا تحريضياً ضد ما أسمته الإرهاب الإسلامي، حيث ربطت بين حرب إسرائيل لحماس، وحرب الهند ضد باكستان، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تبني صحيفة الهندوستان تايمز وصحيفة الهندوس السرديةالإسرائيلية حول طوفان الأقصى(Jangr, 2024, pp. 450-452). ووظفت عديد من حسابات وسائل التواصل الاجتماعي التابعة لقوميين هندوس في الهند، حساباتهم لدعهم الرواية الإسرائيلية، ووصم المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، مستخدمة الذكاء الاصطناعي في صنع هذا المحتوى وترويجه، وتظاهر الآلاف من القوميين الهندوس في كافة أرجاء الولايات الهندية؛ دعماً لإسرائيل ضد ما وصفوه بالإرهاب الإسلامي؛ وقد أعلن سفير إسرائيل في الهند آنذاك ناؤور جيلون، أن مئات الهنود أتوا إلى السفارة الإسرائيلية في الهند وأعلنوا استعدادهم للانضمام إلى الجيش الإسرائيلي للقتال ضد الفلسطينيين في غزة.

كما اتهم زعيم حزب بهارايتا جانتا في ولاية كيرالا الهندية، المظاهرات التي خرجت للتنديد بالإبادة الجماعية التي شنتها إسرائيل على غزة عقب أحداث طوفان الأقصى، بأنهم يمجدون حركة إرهابية -قاصداً بذلك حركة حماس- وأنهم يسعون إلى تمكين الجماعات الإسلامية من حكم الهند. كما وصفت الكنيسة الكاثوليكية في الولاية من تضامنوا مع حركة حماس بأنهم امتداداً للنفوذ المتزايد لما أسمته بالإسلام السياسي بالولاية، وأكدت على حق اليهود في الأرض الموعودة، وتعكس هذه الآراء مدى عظم تأثير المنظمات الدينية الهندوسية واليهودية والمسيحية الإنجيلية الداعمة لإسرائيل في الرأي العام الهندي تجاه إسرائيل؛ وهو ما عبر عنه عضو المكتب السياسي للحزب

الشيوعي الهندي "براكاش كارات" حيث أكد على ذلك، وأشار إلى ضرورة أن يعي المجتمع المسيحي في الهند أن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ليس صراعاً دينياً ضدهم، إذ إنه في عام ١٩٤٨ هاجم الصهاينة الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين ولم يميز بينهم(Nazir, 2024, p. 474).

يبرز هذا الدعم القوي لإسرائيل من قبل القوميين الهندوس، دور الهوية الدينية الجماعية التي تشكل رؤية مشتركة بين القوميتين الهندوسية والصهيونية؛ إذ يرى القوميون الهندوس أن سعي إسرائيل المستمر لإقامة دولة عرقية يهودية وسط جيران ذوي أغلبية مسلمة، يشبه إلى حد بعيد جهودهم إلى إقامة أمة هندوسية موحدة في جنوب آسيا، وأن التغيير الديمغرافي الذي تقوم به إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، يتشابه مع ما تقوم به حكومة حزب بهاراتيا جاناتا الهندي الهندوسي في كشمير وآسام وغيرها من الولايات الهندية (دياب، ٢٠٢٤، ص ٣٤) ومن جراء تأثير سياسات المنظمات الدينية الهندوسية، على الرأي العام الهندي تغير تصور قطاع كبير من الشعب الهندي لإسرائيل؛ إذ لم يعد كثير من الهنود ينظرون إلى إسرائيل على أنها دولة احتلال كما كان من قبل؛ وانعكس هذا التغير في تحول كبير في السياسة الهندية تجاه تعاون أوثق مع إسرائيل؛ فبعد أن كانت الهند بقيادة حزب المؤتمر تتحاشى التقارب مع إسرائيل؛ إذ كانت ترفض استضافة مسؤول إسرائيلي واحد، وكانت أول دولة غير عربية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، لكن سرعان ما تحول الأمر إلى النقيض في ظل حكم القوميين الهندوس للهند بقيادة ناريندرا مودي؛ وهذا هو السبب الرئيس الذي يفسر التحول في العلاقات الهندية الإسرائيلية تجاه أحداث غزة؛ حيث أتت أحداث طوفان الأقصى لتكون مرآة تكشف بوضوح تأثير الهوية الدينية في الدعم الهندي لإسرائيل.

خاتمة:

سعت الدراسة لتحليل تأثير البعد الديني في العلاقات بين الهند وإسرائيل، وركزت على دور الهوية الدينية المشتركة بين الهندوتفا والصهيونية وتأثيرها في العلاقات بين البلدين. فمنذ اعتراف الهند بإسرائيل في عام ١٩٥٠، اتصفت العلاقات بينهما بالمحدودية الشديدة، وهذا راجع لتأثير الهوية العلمانية للهند بقيادة نهرو، فمن

جراء الانقسام الديني الذي زرعته بريطانيا، وغذي بسلسة من المذابح وأحداث العنف بين شريكي الوطن المسلمين والهندوس، قسمت الهند إلى قسمين على أساس ديني، ونتيجة للإرث السلبي للتقسيم؛ سيطر حزب المؤتمر الوطني الهندي على السياسة الهندية ووضع معايير علمانية للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الهندي، وظلت هذه المعايير تشكل منظور الهند تجاه إسرائيل، حيث نظرت إلى إسرائيل على أنها دولة دينية، ومن ثم لم تسع لتطبيع العلاقات معها، إذ كان الحزب يرى أن الدولة تتأسس على الولاء للأرض وليس الولاء للدين. وبناءً على ذلك، كان العامل الديني كابحاً لجماح الانفتاح الهندي على إسرائيل؛ فالهند لم تقدم على إقامة علاقات مع إسرائيل تحسباً لغضب الملايين من المسلمين الهنود، كما أن التقارب الديني بين باكستان والعالمين العربي والإسلامي قد ساعد أيضاً على ذلك.

أما بعد تولي حزب بهارتيا جانتا سدة الحكم في الهند بقيادة ناريندرا مودي في مايو ٢٠١٤، كان تأثير البعد الديني إيجابياً في تعزيز العلاقات الهندية الإسرائيلية؛ إذ مهدت القواسم المشتركة بين القومية الهندوسية والصهيونية اليهودية؛ وبخاصة عدائهما للآخر الإسلامي، الطريق لإحياء العلاقات بين الهند وإسرائيل، حيث إن القومية الهندوسية التي يتبناها حزب بهاراتيا جاناتا، توجد لها روابط وطيدة مع الصهيونية اليهودية في إسرائيل، فكلتا الأيدولوجيتين تؤكدان على أهمية إقامة دولة دينية قومية على أرض مقدسة. إذ عمل التقارب الأيديولوجي بين حكومتي حزب الليكود وحزب بهاراتيا جاناتا على تعزيز العلاقات بين البلدين، فحكومة ناريندرا مودي أقرب إلى إسرائيل بفعل التقارب الأيديولوجي والديني بين القوميين الهندوس واليهود، وأكبر دليل على ذلك الزيارات السياسية رفيعة المستوى التي تمت بين البلدين في فترة حكم حزب بهاراتيا جاناتا.

كما تبدى تأثير التقارب بين الهندوتفا والصهيونية في موقف الهند الداعم بقوة لإسرائيل عقب أحداث طوفان الأقصى، حيث ظهر البعد الديني بقوة في ذلك، وانعكس في تصريحات مودي الذي وصف الهجوم بالإرهابي، وأعلن عن دعمه لإسرائيل، ووقفت الهند سياسيا واقتصاديا وعسكريا بجانب إسرائيل متخلية عن إرثها القديم

الداعم لحركات المقاومة. كما أن التقارب بين القوميين اليهود والقوميين الهندوس المبني اجتماعياً على أساس العلاقة التاريخية بينهما، التي امتدت لعقود طويلة، كان له دور بارز أيضاً في تعزيز التعاون التجاري والاقتصادي والثقافي بين البلدين، ومن أبرز الأدلة على ذلك تأكيد مسؤولي الدولتين على الروابط التاريخية المشتركة بين ما يطلقون عليه أقدم حضارتين في التاريخ، واستحضار ذلك في أغلب اللقاءات السياسية والاقتصادية التي جمعت مسؤولي الدولتين.

وفيما يتعلق بمستقبل العلاقات بين البلدين، فمن المتوقع بقاء الوضع الحالي المتمثل في التنامي المطرد للعلاقات بين البلدين في كافة الصُعد السياسية والاقتصادية والعسكرية، في ظل تنامي القوميات الدينية في كلتا الدولتين، وتعقد الصراع الهندوسي الإسلامي في كشمير، والصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين. ومن أبرز المؤشرات الداعمة لذلك أن أحداث طوفان الأقصى لم تثن الهند بقيادة مودي عن تأييد الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل حيال الأبرياء في غزة، كما أن تأثير القومية الدينية الهندوسية على مودي تجعله مرحباً دائماً بتعزيز العلاقات مع إسرائيل، فضلا عن توافق استراتيجيات مودي مع التوجه الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد المسلمين، حيث لم يتخذ الغرب مواقف جادة ضد انتهاكات مودي تجاه المسلمين في الهند، وكذلك ضد انتهاكات إسرائيل في غزة، لذا فإن التوافق بين الهند بقيادة مودي وإسرائيل في هذا الشأن من أهم العوامل الدافعة للعلاقات بين الهند وإسرائيل، وبخاصة مع الصمت العربي والإسلامي، حيال انتهاكات الدولتين تجاه المسلمين.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- خليل، مروة (٢٠٢٠) **البنائية في تحليل العلاقات الدولية والسياسة الخارجية**، ط١، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- دياب، أحمد (٢٠٢٤) سياسة الهند تجاه حرب غزة: التداعيات والتحولات، **الهيئة العامة للاستعلامات: مجلة آفاق آسيوية**، ٨، (١٤)، ٢٨-٤٤.

- غانم، أماني محمود (٢٠٠٥) البعد الثقافي في دراسة العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
- فكري، مروة (٢٠١٨) السياسة الإسرائيلية تجاه الهند والصين: شد أطراف الأطراف، **مركز الحضارة للبحوث والدراسات: قضايا ونظرات**، ع٨، ١-١٠.
- فهيم، عبد الرحمن (٢٠٢٤) فوز مودي للمرة الثالثة ما الجديد لمسلمي الهند، **مركز الحضارة للدراسات والبحوث، قضايا ونظرات**، عدد٥٣.
- محروس، شيماء محمود (٢٠١٨) العلاقات الهندية الإسرائيلية في الفترة من ١٩٩٢ حتى ٢٠١٦، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
- نتنياهو، بنيامين (٢٠١٥) **مكان تحت الشمس**، ترجمة: محمد عودة الدويري، عمان: دار الجليل للنشر.
- مصطفى، مهند (٢٠١٩) **بنيامين نتنياهو: إعادة إنتاج المشروع الصهيوني ضمن منظور صراع الحضارات**، إسطنبول: مركز رؤية للتنمية السياسية.
- مصطفى، نادية محمود (٢٠١٣) **العلاقات الدولية في الفكر السياسي الإسلامي، الإشكاليات المنهاجية وخريطة النماذج الفكرية ومنظومة المفاهيم**، ط١، القاهرة: دار السلام للطبع والنشر.
- ونت، ألكسندر (٢٠٠٦) **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية**، ترجمة: عبد الله جبر العتيبي، السعودية: جامعة الملك سعود.
- وهبان وآخرون (٢٠٢٤) أثر النسق العقيدي للقيادة السياسية على عملية صنع القرار في الهند دراسة لحالتي "سينج" و"مودي"، جامعة الاسكندرية، **المجلة العلمية للدراسات الاقتصادية والسياسية، ٩ (١٧)**، ٥٩٣-٦٤٦.
- **المكتب الإعلامي لحركة حماس**، (٢٠٢٤) هذه روايتنا: لماذا طوفان الأقصى؟ متاح على الرابط: https://cutt.us/KOIj3.
- نتنياهو، بنيامين (٢٠١٥) **مكان تحت الشمس**، ترجمة: محمد عودة الدويري، عمان: دار الجليل للنشر.
- صقر، عبد العزيز (١٩٨٩) دور الدين في الحياة السياسية في الدول القومية، **رسالة دكتوراة غير منشورة**، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.
- عبد الحي، وليد (٢٠٢١) الدراسات النفسية لشخصية بنيامين نتنياهو، بيروت: **مركز الزيتونة للدراسات**.
- عبد الحي، وليد (٢٠٢٥) انعكاسات سياسة التبديد الهندية تجاه طوفان الأقصى: نظرة مستقبلية، بيروت: **مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات**، https://www.alzaytouna.net/.
- عبد الشافي، عصام محمد (٢٠٠٩) السياسة الأمريكية تجاه المملكة العربية السعودية، دراسة في تأثير البعد الديني، **رسالة دكتوراة غير منشورة**، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

- بن جامع، لمياء (٢٠١٩) أثر البعد الديني على توجيه السياسة الخارجية الإسرائيلية، **رسالة دكتوراة**، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة.
- بودلال، بشير (٢٠١٧) البعد الديني في العلاقات العربية الإيرانية، **رسالة دكتوراة**، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر٣.
- سعيد، هاني عبد الكريم (٢٠١٥) دور البعد الديني في تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وتداعياتها على القضية الفلسطينية في الفترة ٢٠٠٨:٢٠٠١، **رسالة ماجستير**، جامعة الأقصى.
- كديرا بثياغودا(٢٠١٥) التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط، الدوحة: مركز بروكنجز.

المراجع باللغة الإنجليزية:

- Bender. M, M. (2016) History, identity politics and securitization: Religion's role in the establishment of Indian-Israeli diplomatic relations and future prospects for cooperation, **PhD**, Florida International University.
- Astha, C, (2023) Exegesis in International Relations Theory: Examining faith and politics through a neo-classical realist analysis of South Asia. **PhD**. Ritsumeikan Asia Pacific University.
- Blarel. N, (2014) **The evolution of India's Israel policy: Continuity, change, and compromise since 1922**. Oxford University Press.
- Kumaraswamy, P. R. (2024). The Gaza Crisis and the Indian Exceptionalism. **Contemporary Review of the Middle East**, 11(4), 405-418.
- Roy, P, (2022) an analytical study of India-Israel strategic partnership: convergence and constraints India's Israel policy: from 'diplomatic normalisation' towards 'strategic cooperation, 1992 – 2019, **PhD,** Jadavpur University.
- Sandal, N., & Fox, J. (2013). **Religion in international relations theory: interactions and possibilities**. Routledge.
- Snyder, J (2011), **Religion and International Relations Theory**, Columbia University Press.
- **Stockholm International Peace Research Institute**, (2023)SIPRI Arms Transfers Database, https://cutt.us/mfLzB.

- Urmila, (2023) An Analytical Study of India-Israel Strategic Partnership: Convergence and Constraints, **PhD**, Panjab University.
- V.T. Sathian. (2024) India – Israel relations in Post - cold war era : an analytical study, **PhD**, University of Calicut.
- Kumar, K. A. (2023). India and Israel in the post cold war world emerging strategic and economic dimensions, **PhD,** University of Hyderabad.
- Gerber, I, (2008), The Changing Nature of Israeli-Indian Relations: 1948–2005, **PhD**, University of South Africa.
- Iqbal, J. (2023) India-Israel relations: issues and challenge, **PhD**, Department of political science aligarh muslim university.
- **Israeli Prime Minister's Office**, (2017) Statements by PM Netanyahu and Indian PM Narendra Modi, https://cutt.us/UEZb7.
- Kumaraswamy, P. R. (2010). **India's Israel policy**. Columbia University Press.
- De, Abhishek**.** (2024) India supplying arms to Israel in return for Kargil support, claims former envoy, **India Today**, https://cutt.us/vV5Sq.
- Kaura, V. (2017). The Modi Government's Policy on Israel: The Rhetoric and Reality of De-hyphenation. **Strategic Assessment**, 19(4), 79-91.
- Gupta, A. K. (2019). Indian Strategic Thinking towards Israel: A Futuristic Approach. **Jindal Journal of International Affairs**, 7(1), 62-80.
- Pate, T. (2020). Re-(Modi) fying India's Israel Policy: An exploration of practical geopolitical reasoning through re-representation of 'India Israel 'and 'West Asia'post-2014. **Journal of Asian Security and International Affairs**, 7(1), 7-35.
- Khan, Z-Islam, (2017) India-Israel From a Hush-Hush Relationship to Open Celebration, **Al-Zaytouna Centre**. https://cutt.us/nWSfM
- Bos, Sumantra, (2019) **Why India's Hindu nationalists worship Israel's nation-state model**, https://cutt.us/KN8T1
- Purayil, P. (2020). Shifting trajectory in India-Israel relations under Modi. **Israel Affairs,** 26(3), 471-483.

- Shafiee, N. (2024). Analysis of the impact of Hindutva Ideology on India's position towards the Gaza crisis. **The Fundamental and Applied Studies of the Islamic World**, 6(3).
- Jangra, A. (2024). Hindi Newspapers Perspectives on the Israel-Hamas War. **Contemporary Review of the Middle East**, 11(4), 441-465.
- Nazir, I. A. (2024). Kerala and the Gaza Crisis: Solidarity, Politics, and Media **Responses. Contemporary Review of the Middle East**, 11(4), 466-491.
- Kumaraswamy, P. R. (2018). Reading Modi's visit to Israel. **India Quarterly**, 74(1), 1-16.